۱۶۵۸۸

مجله	التضامن الاسلامی
تاریخ نشر	۱۳۹۲ ق
شماره	۵ - سال بیست و هفتم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	محمد علی الصابونی
تعداد صفحات	۲۲۷ - ۲۴۰
موضوع	نظرات فی سورة الفاتحة هل البسمله جزء من السوره ام لا؟ و اقوال
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

نظرات في سورة الفاتحة

للاستاذ محمد علي الصابوني

- ٢ -

الحكم الأول : هل البسملة آية من القرآن ومن سورة الفاتحة ؟

أجمع العلماء على أن البسملة الواردة في سورة النمل في قوله تعالى : (**انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم**) هي جزء من آية ، ولكنهم اختلفوا هل هي آية من الفاتحة ، ومن أول كل سورة من سور القرآن أم لا ؟ على أقوال عديدة :

الأول : انها آية من (الفاتحة) ومن كل سورة من سور القرآن ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى .

الثاني : ليست البسملة آية لا من (الفاتحة) ولا من شيء من سور القرآن ، وهو مذهب الامام مالك رحمه الله .

الثالث : هي آية تامة من القرآن انزلت للفصل بين السور ، وليست آية من الفاتحة على وجه الخصوص ، وهو مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله . فاما الجهر بها فمفرع على هذا الخلاف ، فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها ، ومن رأى أنها من الفاتحة جهر بها كالامام الشافعي رحمه الله (١) .

دليل الشافعية : استدل الشافعية على مذهبهم بعدة أدلة نوجزها فيما يلي :

أولا : حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا قرأتم الحمد لله رب العالمين ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، انها أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها » (٢) .

ثانيا : حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم (٣) .

ثالثا : حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت قراءته مدا .. ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) ٤٥ .

رابعا : حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ

---

(١) انظر ما فصله ابن كثير في تفسيره الجزء الاول ص ١٧-١٨

(٢) رواه الدارقطني . . .

(٣) رواه الترمذي عن ابن عباس وقال : ليس اسناده بذاك أي ليس بقوي الاسناد .

(٤) اخرجه البخاري عن انس وقال الدار قطني : اسناده صحيح .

اغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما ، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت علي آنفا سورة ، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم • انا أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الأبتر) »(٥) •

قالوا : فهذا الحديث يدل على أن البسملة آية من كل سورة من سور القرآن أيضا ، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأها في سورة الكوثر •

خامسا : واستدلوا أيضا بدليل معقول ، وهو أن المصحف الامام كتبت فيه البسملة في أول الفاتحة ، وفي أول كل سورة من سور القرآن ، ما عدا سورة (براءة) ، وكتبت كذلك في مصاحف الأمصار المنقولة عنه ، وتواتر ذلك مع العلم بانهم ما كانوا يكتبون في المصحف ما ليس من القرآن ، وكانوا يتشددون في ذلك حتى انهم منعوا من كتابة التعشير ، ومن أسماء السور ، ومن الاعجام (٦) ، وما وجد من ذلك أخيرا فقد كتب بغير خط المصحف ، وبمداد غير المداد ، حفظا للقرآن أن يتسرب اليه ما ليس منه ، فلما وجدت البسملة في سورة الفاتحة ، وفي أوائل السور دل على أنها آية من كل سورة من سور القرآن •

دليل المالكية : واستدل المالكية على أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من القرآن وانما هي للتبرك بما يلي :

أولا : حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ، والقراءة بالحمد لله رب العالمين » (٧) •

ثانيا : حديث أنس كما في الصحيحين قال : « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين » وفي رواية لمسلم « لا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) لا في أول قراءة ولا في آخرها » (٨) •

ثالثا : ومن الدليل على أنها ليست آية من الفاتحة حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل :

« قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل •

فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين • قال الله تعالى : حمدني عبدي •

واذا قال العبد : الرحمن الرحيم • قال الله تعالى : أثنى علي عبدي •

واذا قال العبد : مالك يوم الدين • قال الله تعالى : مجدني عبدي ـ وقال مرة فوض الي عبدي ـ •

فاذا قال : اياك نعبد واياك نستعين • قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل •

فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل (٩) •

قالوا : فقوله سبحانه (قسمت الصلاة) يريد الفاتحة ، وسماها صلاة لأن الصلاة لا تصح الا بها ، فلو كانت البسملة آية من الفاتحة لذكرت في الحديث القدسي •

رابعا : لو كانت البسملة من الفاتحة لكان هناك تكرار في (الرحمن الرحيم) في موضعين وأصبحت السورة كالآتي (بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم) وذلك مخل ببلاغة النظم الجليل •

---

(٥) رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي حسن صحيح • والحديث له تتمة وهي : ثم قال اتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله اعلم ، قال : فانه نهر وعدنيه ربي تعالى ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ••• الخ وانظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٢٨٥ •

(٦) الاعجام معناه : التنقيط ، والحروف تنقسم الى تسعين : معجمة ، ومهملة ، فالمعجمة التي لها نقط ، والمهملة ما ليس لها نقط

(٧) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها وانظر القرطبي ج ١ ص ٩٥ •

(٨) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه •

(٩) أخرجه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة وانظر أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩ وتفسير القرطبي ج ١ ص ٩٤ •

خامسا : كتابتها في أوائل السور انما هو للتبرك ، ولامتثال الأمر بطلبها والبدء بها في أوائل الأمور ، وهي وان تواتر كتبها في أوائل السور ، فلم يتواتر كونها قرآنا فيها •

قال القرطبي : « الصحيح من هذه الأقوال قول مالك ، لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وانما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه •

قال ابن العربي : ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلاف الناس فيها ، والقرآن لا يختلف فيه ، والأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها دالة على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها الا في النمل وحدها •

ثم ان مذهبنا يترجح في ذلك بوجه عظيم وهو المعقول ، وذلك أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة انقضت عليه العصور ، ومرت عليه الأزمنة والدهور ، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زماننا مالك ، ولم يقرأ أحد فيه قط (بسم الله الرحمن الرحيم) اتباعا للسنة ، وهذا يرد ما ذكرتموه ، بيد أن أصحابنا استحبوا قراءتها في النفل ، وعليه تحمل الآثار الواردة في قراءتها أو على السعة في ذلك (١٠) »•

دليل الحنفية : فقد رأوا أن كتابتها في (المصحف) يدل على أنها قرآن ، ولكن لا يدل على أنها آية من كل سورة ، والأحاديث الواردة التي تدل على عدم قراءتها جهرا في الصلاة مع الفاتحة تدل على أنها ليست من الفاتحة ، فحكموا بانها آية من القرآن تامة ـ في غير سورة النمل ـ أنزلت للفصل بين السور •

ومما يؤيد مذهبهم ما روى عن الصحابة أنهم قالوا : « كنا لا نعرف انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم (١١) » •

وكذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) »(١٢) •

قال الإمام أبو بكر الرازي (١٣) : « وقد اختلف في أنها آية من فاتحة الكتاب أم لا ، فعدها قراء الكوفة آية منها ، ولم يعدها قراء البصريين ، وقال الشافعي : هي آية منها وان تركها أعاد الصلاة ، وحكى شيخنا (أبو الحسن الكرخي) عدم الجهر بها ، وهذا يدل على أنها ليست منها ، ومذهب أصحابنا أنها ليست بآية من أوائل السور ، لترك الجهر بها ، ولأنها اذا لم تكن من فاتحة الكتاب فكذلك حكمها في غيرها ، وزعم الشافعي أنها آية من كل سورة » ، وما سبقه الى هذا القول أحد ، لأن الخلاف بين السلف انما هو في أنها آية من (فاتحة الكتاب) أو ليست بآية منها ، ولم يعدها أحد آية من سائر السور •

ومما يدل على أنها ليست من أوائل السور ، ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفر له « تبارك الذي بيده الملك ») واتفق القراء وغيرهم أنها ثلاثون سوى (بسم الله الرحمن الرحيم) فلو كانت احدى وثلاثين آية لقاله وذلك خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل عليه أيضا اتفاق جميع قراء الأمصار وفقهائهم على أن سورة (الكوثر) ثلاث آيات وسورة (الاخلاص) أربع آيات ، فلو كانت منها لكانت أكثر مما عدوا » (١٤) •

الترجيح : وبعد استعراض الأدلة وما استدل به كل فريق من أئمة المذاهب نقول : ـ

---

(١٠) انظر تفصيل الادلة في تفسير القرطبي ج ١ ص ٩٣-٩٥ وفي أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٠ •

(١١) أخرجه أبو داود وانظر الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٩٥

(١٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وأبو داود عن ابن عباس باسناد صحيح •

(١٣) هو الامام الجليل المشهور بـ (الجصاص) صاحب تفسير آيات الاحكام ، وهو غير الامام الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير •

(١٤) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩-١١ بتصرف ، هذا وقد أورد الامام الفخر الرازي ست عشرة حجة في ان البسملة آية من الفاتحة ، ورد عليه الالوسي في تفسير (روح المعاني) وقد لاح لي عند قراءة الحجج والرد عليها ان كلا منهما قد تعصب لمذهبه ومذا مما لا ينبغي ان يكون والحق أحق أن يتبع •

لعل ما ذهب اليه الحنفية هو الارجح من الأقوال ، فهو المذهب الوسط بين القولين المتعارضين ، فالشافعية يقولون : انها آية من الفاتحة ومن أول كل سورة فى القرآن ، والمالكية يقولون : ليست بآية لا من الفاتحة ولا من القرآن ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن اذا أمعنا النظر وجدنا أن كتابتها فى المصحف ، وتواتر ذلك بدون نكير من أحد ـ مع العلم بأن الصحابة كانوا يجردون المصحف من كل ما ليس قرآنا ـ يدل على أنها قرآن ، لكن لا يدل على أنها آية من كل سورة ، أو آية من سورة الفاتحة بالذات ، وانما هى آية من القرآن وردت للفصل بين السور ، وهذا ما أشار اليه حديث ابن عباس السابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايعرف فصل السورة حتى ينزل عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ويؤكد أنها ليست من أوائل السور أن القرآن نزل على مناهج العرب فى الكلام ، والعرب كانت ترى التفنن من البلاغة ، لا سيما فى افتتاحاتها ، فلو كانت آية من كل سورة لكان ابتداء كل السور على منهاج واحد ، وهذا يخالف روعة البيان فى معجزة القرآن .

وقول المالكية ـ لم يتواتر كونها قرآنا فليست بقرآن ـ غير ظاهر كما يقول الجصاص ، اذ ليس بلازم أن يقال فى كل آية انها قرآن ويتواتر ذلك ، بل يكفى أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابتها ويتواتر ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد اتفقت الأمة على أن جميع ما فى المصحف من القرآن ، فتكون البسملة آية مستقلة من القرآن كررت فى هذه المواضع على حسب ما يكتب فى أوائل الكتب على جهة التبرك باسم الله تعالى ، وهذا ما تطمئن اليه النفس وترتاح ، وهو القول الذى يجمع بين النصوص (١٥) والله أعلم .

الحكم الثانى : ما هو حكم قراءة البسملة في الصلاة؟

اختلف الفقهاء فى قراءة البسملة فى الصلاة على أقوال عديدة :

أ ـ فذهب مالك رحمه الله الى منع قراءتها فى الصلاة المكتوبة ، جهرا كانت أو سرا ، لا فى استفتاح أم القرآن ، ولا فى غيرها من السور ، وأجاز قراءتها فى النافلة .

ب ـ وذهب أبو حنيفة رحمه الله الى أن المصلي يقرؤها سرا مع الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة، وان قرأها مع كل سورة فحسن (١٦) .

ج ـ وقال الشافعى رحمه الله : يقرؤها المصلي وجوبا فى الجهر جهرا ، وفى السر سرا .

د ـ وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : يقرؤها سرا ولا يسن الجهر بها .

وسبب الخلاف هو اختلافهم فى (بسم الله الرحمن الرحيم) هل هى آية من الفاتحة ومن أول كل سورة أم لا ؟ وقد تقدم الكلام على ذلك فى الحكم الأول . وشيء آخر هو اختلاف الآثار فى هذا الباب .

قال ابن الجوزى فى تفسيره زاد المسير : « وقد اختلف العلماء هل البسملة من الفاتحة أم لا ؟ فيه عن أحمد روايتان ، فأما من قال : انها من الفاتحة ، فانه يوجب قراءتها فى الصلاة اذا قال بوجوب الفاتحة ، وأما من لم يرها من الفاتحة فانه يقول : قراءتها فى الصلاة سنة ، ما عدا مالكا رحمه فانه لا يستحب قراءتها فى الصلاة .

واختلفوا فى الجهر بها فى الصلاة فيما يجهر به ، فنقل جماعة عن أحمد : أنه لا يسن الجهر بها ، وهو قول أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود، ومذهب الثورى ، ومالك ، وأبى حنيفة .

وذهب الشافعى الى أن الجهر مسنون ، وهو مروى عن معاوية ، وعطاء وطاووس (١٧) .

الحكم الثالث : هل تجب قراءة الفاتحة فى الصلاة ؟

---

(١٥) انظر تفصيل الادلة بتوسع فى احكام القرآن للجصاص ، واحكام القرآن لابن العربى ، وتفسير القرطبى ، والفخر الرازى ، وقد جمع (الدار قطنى) الادلة التى تدل على أن البسملة من القرآن فى جزء صنفه ، كما جمع عدد من العلماء الادلة التى ترجح قراءتها والله اعلم .

(١٦) انظر احكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٥ وتفسير القرطبى ج ١ ص ٩٦ وزاد المسير ج ١ ص ٧ .

(١٧) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج ١ ص ٧ـ٨ بشيء من الاختصار .

كقراءة اسرائيل فى فلسطين والأرض العربية السليبة .

كل أولئك علم وقراءة . ولكنها ليست باسم الله.

ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم فى الاسلام بهدفه الأخلاقى . أن يكون باسم الله . وأن يكون فى خدمة الانسان .

بل لو تعمقنا التأمل فى هذا الأمر الأول لوجدنا فيه عمقا عميقا فى قول الله « باسم ربك » ولم يقل باسم الله .. لماذا ؟ لفظ رب على التربية والتكوين والرعاية . رعاية تبدو فى الآية فى رحلتين :

الأولى : رحلة الخلق : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق » ..

الثانية : رحلة العلم : « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » ..

وكان القلم فى الآية أول « أداة » يذكرها القرآن ، كما كان أول ما أقسم به الله كما رأينا في سورة «القلم».

عبقرية هذا الدين

وأعود الى ليلة في مكة ، على خطى الرسول الأعظم . وهو في تقلبه بين داره وغار حراء . أسير مع صاحبي فى ليل يغمره ضوء القمر ، ويحتويا صمت مبين ، نسمع فيه بآذان القلب ، صوتا حبيبا جاء رحمة للعالمين ..

وكنت أتخيل لفظ « اقرأ » حينما نزل على الرسول، كأنما نزل على سطح التاريخ فأحدث فيه سلسلة من التموجات المستمرة التى استطاعت أن تعبر الجزيرة العربية الى ما وراءها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وما زال أثرها مستمرا ..

فلننظر الى بعض هذه الآثار فى حياة الرسول وبعد لقاء ربه ...

الطاهرة الكبرى فى حياة الرسول أن المجتمع الاسلامى ـ بكل مقوماته ـ كان يتكون والوحى ينزل وبعبارة أخرى : أن تكوين المجتمع الاسلامى لم يأت « لا حقا » و « متأخرا تاريخيا » عن نزول الوحى على الرسول ... وتبدو من هذه الزاوية عبقرية هذا الدين اذا ما قارناه بغيره من الأديان الكبرى .

فالأوامر الالهية لم تبق نصوصا مكتوبة تبحث عن التنفيذ . ولم يعش الاسلام على المستوى النظرى دون ارتباط وثيق بالقاعدة العلمية . وانما جمع الرسول بين شخصية « القائد » الذى يدير المجتمع ، و « الداعى » الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

والقيادة مشكلات وصراعات . والسمة العالية للنبوة دعوة وتجميع وكان على الرسول أن يخوض ـ على الأقل ـ هاتين المعركتين بكل أبعادهما ... ووسط هذه الصراعات جميعا كانت الدعوة الى العلم ووضعه فى مكانته الكريمة ..

١ ـ كان الوحى يسجل أولا بأول .. والذين قاموا بهذا حملوا اللقب الكريم « كتاب الوحى » وكان هناك تجميع دقيق من أول الأمر بمقاييس العصر لهذا العمل . ومراجعة مستمرة عن طريق القراءة والحفظ والتطبيق . ولم يشهد القرآن فجوة تاريخية بين نزول الوحى والتسجيل .

وعندما اشتد الصراع بين القاعدة الاسلامية وما حولها ، واستشهد فيه نفر غير قليل من حفاظ القرآن. بذل الخلفاء الراشدون جهودا علمية دائبة دقيقة فى حفظ وجمع كتابة المصحف الجامع .. فكان الدفاع عن الاسلام دفاعا عن أرض الدين وكتابه الأكبر فى الوقت نفسه . ويسر الله لهذا الكتاب ما لم ييسره لغيره وما زال فى مقدور الطفل قبل أن يبلغ الحلم أن يحفظ القرآن كله !

٢ ـ ولم يكن حفظ القرآن مجرد ترديد كلمات ، وانما دعوة دائبة الى طلب العلم والعمل به ...

المسلم يقرأ فى كتاب الله :

- **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون.**
- **وقل ربى زدنى علما .**
- **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .**

٣ ـ وهو يسمع من الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه :

- **العلماء ورثة الأنبياء .**
- **العلماء أمناء الله على خلقه .**

٤ ـ وهو يرى هذا العلم شاملا كل نواحى المعرفة الانسانية . وطلب المعرفة عبادة وحياة . ويقرأ قول الله تعالى :

(ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء . ان الله عزيز غفور) .

فيرى فى الآية اشارات الى الظاهرات الجوية والنبات والصخور والناس والحيوان . وهى دروس موضوعات أصبح كل منها علما بل علوما رحبة .